**الاسم واللقب:** سمـــاح حبطـة
**طالبة دكتوراه L.M.D –السنة الثانية–** جامعة الحاج اخضر –باتنة1–

**سؤال التسامح وآفاق الضيافة غير المشروطة من منظور** جاك **دريدا –اعترافا واختلافا–**

**ملخص:**

نروم من خلال هذه المقاربة البحثية التماس ما أثار واستفز فكر جاك دريدا والمنصب رأسا حول مسألة التسامح التي اتخذت لها مركزا استند إليه فلاسفة عصر الأنوار كمنظرين لفلسفتها التي استقطبت اهتماماتهم في ظل استفحال الصراعات والنزاعات الطائفية ضمن سقفها الديني تحديدا أحاطته هالة العنف الديني والاضطهاد المذهبي في سعي منهم لتأسيس خطاب فلسفي واع ومسؤول إزاء الوضع الذي آلت إليه أوروبا وعانت منه في العصور الوسطى لغرض الخروج من هذه المعضلة، غير أن مسألة التسامح هذه اتخذت لها بعدا مغايرا –بعدما قطعت لها أشواطا لا يمكن التنكر لها لحفظ الكرامة الإنسانية– فاستؤنف القول الفلسفي له ولكن في بعده التفكيكي مع جاك دريدا، باستدعائه له وزعزعة أركانه في ظل طغيان صور العنف والجرائم التي لازالت تتربص بالبشرية..

- **إشكالية البحث:**
- على أي أساس ارتكزت مساءلة دريدا لمسألة التسامح؟ وهل هذه المساءلة أوجدت لها بديلا يُستعاض بها عنها بما يتماشى ومنطق الاختلاف في ظل طغيان العدمية الجديدة المتمثلة في العنف الذي هيمن اليوم بشكل مرعب ضمن أشكاله المتمايزة؟

**مقدمة:**

ما يتبدى في المنعطفات التاريخية الكبرى ضمن تاريخ الفكر الفلسفي لعصر الأنوار تحديدا هو تعالي صوت العقل معلنا تبنيه لفلسفة التسامح هذه التي استقطبت اهتمام وانتباه منظرين وفلاسفة تنويريين في أوروبا انخرطوا بفضل نقاشاتهم ومعايشتهم للحدث في مسعى منهم لتقصي الفكر وجرأته للخوض في هذا المبحث الذي أضحى مطلبا رئيسيا وجب حمله محمل الجد لغرض موضعته بما يتماشى ومقصده الذي ارتآه وهو التصدي ونبذ كل أشكال العنف التي زعزعت الاستقرار والأمن والأمان في تلك الحقبة الزمنية التي عظمت فيها الصراعات والنزاعات الطائفية والعرقية وكمطلب ترجوه الإنسانية قاطبة ليست بمنأى عن وقتنا الراهن واستتباعاته التي استفحلت فيه قوى العنف والجرائم والارهاب...، غير أن مسألة التسامح هذه وجدت لها توجها مغايرا وقراءة مختلفة عما نُظِّر بخصوصها وكتصور جديد إزاءها، وهذا ما التمس فعلا في الفكر ما بعد الحداثي –التفكيكي– عند واحد من فلاسفة تيار الاختلاف الفرنسي جاك دريدا Jacques Derrida (2004/1930)، التي اتخذت لها دربا ملتويا مستندة إلى دعامة واهية وهي التفكيك آخذة رؤية تتعارض وما أُورد حولها تؤكدها فلسفة الاختلاف وما تنضوي في ثناياها من تمفصلات وحمولة حول تيمة التسامح التي لم تصمد أمام المفك الدريدي، **فعلى أي أساس ارتكزت مساءلة دريدا لها؟ وهل هذه المساءلة أوجدت لها بديلا يُستعاض بها عنها بما يتماشى ومنطق الاختلاف في ظل طغيان العدمية الجديدة المتمثلة في العنف الذي هيمن اليوم بشكل مرعب ضمن أشكاله المتمايزة؟**

❖ **الروافد الفكرية في توجه دريدا الفلسفي تمثلا وتجاوزا:**

ما هو متعارف عليه ومتفق حوله عند تناول فكر فيلسوف قيد الدراسة يتطلب منا ويتعين علينا التماس المرجعيات الفكرية على اختلاف مشاربها وتوجهاتها –لاستحالة القول أن منطلقة من عدم– تلك التي نهل منها لغرض وضع اللبنات الأولى لمشواره الفكري، وهذا ما نسعى لتنبيه عند دريدا، مرجعية تحدد توجهاته وتحدد اهتماماته الفكرية على غرار الظروف المحيطة به وعلاقتها بالانتماء والهوية، وسيتضح معنا ذلك تباعا وحصريا بما يتماشى ودراستنا هذه، وبخاصة تأثير كل من فيلسوف الغابة السوداء مارتن هايدغر(1976/1889) حول ما تعلق بمفردة **الاختلاف** وفيلسوف الغيرية إيمانويل ليفيناس(1995/1906) في بعده **الإيتيقي**.

إن الدَين الذي أقر به دريدا لهايدغر يظل أكثر إثارة وإخلاص وتنبيها للنهل من المورد الهايدغري حتى وإن كان هنالك تألبا عليه وبصفته وبوصفه آخر الميتافيزيقيين من لدن تلميذه، وبخاصة ما تعلق بفكرة الاختلاف على اعتبار أن (...) فكر هيدغر بالأساس هو فكر الاختلاف"[1]. فلا يمكن التنكر لفضل هايدغر على دريدا في أنه أوحى له بمصطلح غاية في الأهمية تبلورت على إثره فكرة الاختلاف لدى فلاسفة الاختلاف في فرنسا وتحديدا عند جاك دريدا تمثلا وتجاوزا.

تعد مفردة الاختلاف عند دريدا والتي اتخذت لها دربين متمايزين عما أُدرج بخصوصها معنىً ونحتاً(على مستوى الكتابة) وهذا ما أوضحه في كتابه هوامش بقوله: " أود القول بداية أن الاختلاف ليس كلمة ولا مفهوما، يبدو لي استراتيجيا الأكثر نقاء للفكر(...) استراتيجية في نهاية المطاف دون أي نهاية يمكن أن نسميه تكتيكا أعمى(...)"[2] استراتيجية كما يحلو لدريدا نعتها بها مفردة تعني الإزاحة ذات الميزة التاريخية باعتبار أن الاختلاف هو "الإرجاء أو التأجيل، أي أرجأ وأجل، وأعاد مرة أخرى بحذر وانتباه واعٍ أو بغير وعي بتوسط زمني(...) بالمعلق المؤجل المملوء بالرغبة والعزيمة القوية(...) الاختلاف هو استراتيجية ومجازفة، استراتيجية لأنه لا توجد حقيقة متعالية وحضور خارج مجال الكتابة"[3] مفردة عمل دريدا على تحويل حرفها(E) والاستعاضة عنه بحرف (A) لغرض تأكيده على أن التغيير يحدث على مستوى الكتابة لا على مستوى الكلام، فهم يفيد المعنيين الاختلاف والإرجاء "ذلك أن الإرجاء والإمهال والتأجيل والتزييل–أي التفريق– تستتبع جميعها الحسبان والمداورة والمهلة والاحتياط(...)."[4] فغدت بذلك Différance/Différence فالاختلاف"(...) إحالة إلى الآخر وإرجاء لتحقق الهُوية في انغلاقها الذاتي(...) تَعبر فيه الهوية إلى آخَرها أو تقمعه"[5] ، فلعبة الاختلاف

الدريدي قائمة على وضع حد لتناهي الدلالة، بل العمل على فسح المجال للقول بالاحتمال تتعدد على منواله المعاني والدلالات المتراقصة، هذا الاختلاف الحامل لمعنيين بحسبه هما التمايز والإرجاء،"(...) Différance فهو مفهوم اقتصادي يشير إلى إنتاج ما هو مؤجل Différer بالمعني المزدوج لهذه الكلمة"[6] ، إرجاء هو تأخير له دور الحركة الدؤوبة لا السكون تنشأ على إثره مسألة الحضور، وهذا ما أعابه دريدا على الموروث الميتافيزيقي الغربي حديثة عن الحضور المعبر عن الهُوية وإهماله للغياب مكمن الاختلاف والتمايز.

وإذا ما انتقلنا من تأثير هايدغر في فكر دريدا ضمن مفردة الاختلاف، هذه النقلة ستكون صوب الأخلاق وعلاقة دريدا المباشرة بفليسوف الغيرية "إيمانويل ليفيناس"* و"(...) العلاقة الفلسفية التي جمعت بين دريدا وليفيناس.

ليفيناس الذي سترافق "فلسفته" دريدا طويلا، حتى يمكننا القول إن دريدا في "نقلته الأخلاقية" لم يقم بأكثر من دنيوة أو "علمنة" لفلسفة ليفيناس وتحريرها من أصولها الدينية (...)[7]. وانصباب اهتمام ليفيناس بالأخلاق كبديل الميتافيزيقيا ووضعها ضمن أولوياته الفكرية باعتبارها "فلسفة أولى" بحسبه، أي توجيه الأنظار من سؤال الأنطولوجيا إلى سؤال الغيرية ضمن نطاقها الإيتيقي.

فالتدين من منظور ليفيناس ما هو إلا حركة أخلاقية قيمية اتجاه الآخر كممارسة وسلوك أخلاقي وكدرب يوصل إلى الله فيحدث نوعا من التكامل بين الأنا والآخر، كما أنه أيضا يؤول إلى تلك المواقف الفاضلة مع الآخر، ولا ترتبط بمسألة المعتقد، وبالتالي هنالك مماهاة بين الفعل الديني والفعل الأخلاقي أقامها ليفيناس، فارتباط الإنسان بالله تتوسلها علاقة الإنسان بالإنسان، مخترقا ومنعتقا من أنانية الأنا "فإذا ما اقترب الإنسان الآخر مني وافدا للقائي، فإنه ينادي علي ويتوسلني، إنه يصدح بصوته مسؤوليتي، وأن أرد عليه، فذلك يعني أن أجيب عنه، وعندما أكتشف وجه الآخر أصبح مسؤولا عنه، بالطبع بإمكاني أن أتحجب عنه، لكنني لا أستطيع ذلك من وجهة نظر إنسانية، يفرض الوجه ذاته علي فلا أستطيع أن أمتنع عن سماع ندائه (...)"[8] فتنتصر هذه العلاقة كمسؤولية أخلاقية اتجاه الآخر ضمن اتصال أفقي لغرض تحقيقه عموديا فينكشف اللامتناهي في أفق العلاقة مع الآخر أو الغير، تنتبذ كل أشكال القوة والعنف ضد الآخر المقصي مستدعيا فكرة التسامح في نطاقها الإيتيقي فـ "في استحضار البعد التيولوجي لعلاقتنا بالآخر ما يمكن من تعميق النظر بخصوص مفهوم الغيرية، تعميقا

يمكن استجلاء معانيه من خلال استعادة فيلسوف التفكيك لفلسفة إيمانويل ليفيناس فكاتب الكلية واللانهائي بفتح الفلسفة على أصول غير إغريقية ويستحضر من المفاهيم ما به يؤكد قيمة الغيرية[9].

فانهمام واهتمام ليفيناس بالآخر حسب دريدا سيعيد استحضار تمركز مغاير منصب حول الآخر أو الغير فيتهدد انوجاد الذات لذاتها، ولكن هذا لم يمنع دريدا من الاعتراف بإسهامات ليفيناس سواء في مجال إيتيقا الغيرية وإسقاطها بما يتماشى ومسألة الضيافة غير المشروطة.

كما طرح دريدا في حواره المبكر لنص "ليفيناس" الشمولية واللانهائي" إن صحت الترجمة بخصوصه كعنوان ضمن كتابه السابق الذكر الذي أوضح فيه رؤيته النقدية وتشابك للرؤى والأفكار بينه وبين أستاذه في أن مسعاه التماس خطاب لا يرتكز على قاعدة صلدة كانت في الأساس ذات أصل يوناني تستمد قوتها من تعالي فكرة اللوغوس والأنا وإنما قلب تلك التراتيبة التي استشفها من خلال كتابه "الكلية واللانهائي" تتمحور حول فكرة المغايرة والآخر كمفهوم مركزي في متنه "(...) هذا الفكر ينادي بالعلاقة الأخلاقية علاقة غير عنيفة باللامتناهي كمختلف إلى ما لا نهاية إلى آخر يستطيع وحده أن يفتح مساحة التفوق ويحرر الميتافيزيقا"[10]. تحرير إلها من قبضة الذاتية محددة مسؤوليتها اتجاه المغاير بمعنى أن "(...) ليفيناس يشدد ويعمل على كلمة "علاقة" (...) العلاقة مع الآخر هي الاحترام (...) لأنه يفتح للترحيب به (...) العلاقة مع الآخر نحتفظ فيه بمصطلح القصدية (...) استقبال الوجه (...)"[11]. فإذا كان ليفيناس أولى اهتماما بالآخر باعتباره قوام تلك العلاقة القائمة بين الآنا والغير، إلا أن هذا القلب لطرفي الثنائية ما هو إلا إعادة التأكد على منطق الثنائيات المتمركز حول الآخر لم تبرح صرح الميتافيزيقا الغربية، وهذا ما أعابه دريدا على ليفيناس من أنه لم يتمكن من الانعطاف والانفلات من قبضة الثنائيات الميتافيزيقية ولكنه في نفس الوقت يستحضر فكره ولو بشكل مغاير عما أورده أستاذه كنوع من الانجذاب والابتعاد وبخاصة ما تعلق بنصوصه حول الضيافة، الصداقة، الصفح...

### ❖ من التسامح التنويري إلى الضيافة غير المشروطة

قدم دريدا ضمن كتابه "إيمان ومعرفة–منبعا الدين في حدود العقل وحده–" افتراضا–وهذا ضمن نص محاضرته التي ألقاها في إطار ندوة الدين التي جمعته بمفكرين وفلاسفة غربيين في جزيرة كابري الإيطالية– مفاده" لنفترض أننا هنا من أجل التسامح[***] على الرغم من أننا غير مكلفين بمَهمة نشره وممارسته أو التأصيل له."[12] فهو بذلك ليس بالمعنى الذي نظّر له فلاسفة التنوير الأوروبي أمثال: الفيلسوف الفرنسي **فولتير Voltaire (1694/1778)**، والفيلسوف الانجليزي **جون لوك John**

**Locke (1704/1932)** وكذا الفيلسوف الألماني إمانويل كانط **Emmanuel Kant -1804/1724** ، الذين يعدون من كبار مؤسسي فلسفة التسامح، ودعوتهم الصريحة إلى محاربة كل تشدد وتعصب ومدعاة للطائفية، وبالتحديد في كتاب: **رسالة في التسامح** لجون لوك ، الذي طلب من خلاله كل المذاهب المسيحية على اختلافها من جهة، وأصحاب الديانات الأخرى كاليهود والمسلمين من جهة أخرى إلى ممارسته، وأن يشتمل على كل هؤلاء. إضافة إلى ما أسهم فولتير بخصوصه في كتابيه: "رسالة في التسامح" و"قاموسه الفلسفي(Dictionnaire philosophique)–ضمن مادة التسامح–" إضافة إلى كتاب :

« VOLTAIRE TRAITE SUR LA TOLIRANCE »[13] التي أراد من خلالها إبراز جوهر هذا التسامح ضمن التساؤل الذي عرضه في قاموسه الفلسفي ومفاده: "ما هو التسامح؟"، إضافة إلى ما أورده ضمن رسالته في التسامح بقوله: "إن التسامح، في خلاصة القول، لم يتسبب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية، في حين أن عدم التسامح قد عُمم على وجه الأرض"[14]فمفهوم التسامح الذي أرسى دعائمه فلاسفة الأنوار يحمل في طياته قيما إنسانية نبيلة

في بعدها الإيجابي وبخاصة ما تعلق بحفظ حقوق الأقليات الدينية داخل المجتمع، وهذا ما يؤكد على أن التسامح كما ورد في الكتاب المقدس (العهد الجديد تحديدا)، كانت دعوته الصريحة إلى الغفران، والشفقة المتضمنة كل رحمة ولطف،"فإن كنتم تغفروا للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم"[15] إلا أنه في المقابل يتمظهر مفهوما مناقضا له متمثلا في العنف أو اللاتسامح، فهو كمفهوم "ينتمي إلى الحكاية البشرية ، وهي حكاية صراع (...)"[16]، لأنه مصدر الصراعات والشرور، وحب السيطرة والطغيان، كسلوك سلبي يهدف إلى نفي الآخر، التزمت والتعصب له جملة وتفصيلا.

هنا تحديدا يستدعي دريدا مفهوم التسامح–كما طرحته المسيحية وفلاسفة الأنوار–قصد خلخلته وزعزعته وذلك بإسقاطه بما يتماشى وحمولة معناه ضمن الراهن دون إصداره لحكم مسبق بخصوصه، ويتضح ذلك في قوله: "أضع هذا المفهوم بين هلالين–كإرجاء– حتى أتمكن من تجريده وانتزاعه من أصوله، ومن ثم نعلن من خلاله، وعبر كثافة تاريخه عن إمكانية لا تكون مسيحية فحسب "[17]، حيث يتضح أن مفهوم التسامح بوجه عام ارتبط بشكل وثيق بالمسيحية، خاصة مع حركة الإصلاح الديني الأوروبية في القرن 16 على يد **مارتن لوثر MARTIN LUTHER (1483–1546)**، وما سبقها من حروب دينية واضطهاد ديني بين الطوائف والمذاهب المسيحية (الكاثوليكية والبروتستانتية)، هذه الحركة التي

دعت إلى حرية الاعتقاد، واحترام عقائد الآخرين، والسعي لمحاربة حتى الاضطهاد الموجه صوب اللادينيين والهراطقة، وهذا ما صرح به دريدا فعلا بخصوصه" لأن مفهوم التسامح بالمعنى الحرفي للكلمة، ينتمي أولا وقبل كل شيء إلى المسيحية، ويُعد واحدا من مفرداتها الأساسية(...) ويشير حرفيا إلى سر من أسرار الطائفة المسيحية"[18]، برده إلى أصله الديني الذي انبجس منه، وضمن سياقه المُحدِدْ له في هذا الموضع لارتباطه بالدين المسيحي على سبيل الحصر وضمن ما ورد في العهد الجديد " كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضا في المسيح"[19]، ما يُؤكد على أنه مفهوم اصطُبغ بصبغة وحمولة دينية بامتياز، فهو بذلك"فضيلة مسيحية أو فضيلة كاثوليكية بالأخص."[20]، وهنا يظهر اعتراض فولتير عليه كونه تسامح مشروط في إطاره المسيحي فحسب، ولكن يبقى هذا التسامح القائم على المحبة في النموذج المسيحي وتحمل الآخر ومسامحته سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الديانة المسيحية بعينها بتعدد مذاهبها، أو أن يكون خارج إطار هذه الديانة، كما يندرج هذا التسامح ضمن شعار "سأتركك تعيش بسلام"، لأن السلام بحسب دريدا هو التعايش المتسامح باعتباره شكل من أشكال الإحسان والصفح والهبة الخالصان بعيدا عن أي معيارية أو أي تطبيع ذي استثنائية تخص الصفح بخاصة كتجربة للمستحيل وبما لا يقبل النسيان أو التقادم (imprescripitible)، فيستدعى لغرض تحقيقه ضرورة ضد ما هو مستحيل الصفح عنه، والمتعذر في اللاإمكانيته ولكن "(...) إذا طالبنا بالصفح على عدم المنح، وعدم المنح كفاية مطلقا، فبالإمكان أن نشعر أيضا بالذنب وبالتالي بإلزامية الاستصفاح، وعلى العكس من ذلك، بالمنح، بالصفح من أجل ما يُمنح، والذي قد يصير نداء بالاعتراف(...) يجب قبليا إذا، أن نطلب الصفح من أجل الهبة نفسها، يجب ضرورة أن تكون الهبة موضوع الصفح، والسيادة أو الرغبة في السيادة التي تسكن دائما الهبة(...) وأنا أصفح لأن حياة الإنسان مكرسة للصفح دائما (بإفراط، إذن) نيابة عن شخص آخر."[21]

ولهذا يُستطلب الصفح والتسامح اللامشروط تصديا ونبذا للعنف الذي طغى وهيمن اليوم بشكل مرعب ضمن أشكاله المتمايزة، هذا ما جعله يعيد استدعاءه واستحضاره اليوم لغرض استعماله ومتطلبات ما تدعو إليه هذه الكلمة العتيقة والمفيدة في آن" وهي كلمة تعني أن يتقبل المسلمون التعايش مع اليهود والمسيحيين وأن يتقبل اليهود التعايش مع المسلمين، وأن يتسامح المؤمنون مع الكفار أو غير المؤمنين(...)"[22]، فهذا التسامح الجديد والمغاير عن سابقه التنويري من وجهة نظر دريدا القائم على "احترام للغيرية اللامحدودة وللمسافة وللتشتيت والفصل واللاتماثل (Dissymétrie) أي اللاتجانس الذي يعني به الفاصل أو الهوة أي الغيرية والمسافة الموجودة بين الذات والآخر"[23]، ولهذا يقترح دريدا تقديم

تسامح جديد يُطلق عليه تسمية "التسامح غير المشروط"، وإن كان بحسبه يرفض أن يكون التسامح شرط من شروط الضيافة، لأن التسامح يُعد نقيضا لها، كما يرفض النظر إلى التسامح باعتباره يشكل نوعا من الضيافة المشروطة، المتحفظة والحذرة، أي وجود صفة الإلزامية فيها للمضياف كشكل من أشكال الخضوع والخنوع لشروطه، أو ما يُطلق عليه كانط اسم "**الاتفاقيات الكوزموبوليتانية**" القائمة على احترام القواعد والقوانين وكذا الاتفاقيات الدولية، فهي بذلك ضيافة مقننة تحدها حدود مشروطة تحيد عن الحقيقة الجوهرية للضيافة، إلا أنه في المقابل نجد دريدا يدعو إلى الضيافة الخالصة وغير المشروطة، لأن هذه الضيافة بنظره "إذا يجب عليها أن تكون ما يجب أن تكون، فيجب عليها ألا تدفع دينا، ولا يأمرها واجب (...)، لا "بالتطابق مع الواجب، ولا حتى "بسبب الواجب" لكي نستعمل التمييز الكانتي."[24]، وكونها أيضا" (...) لا تتعلق فقط بالآخر عموما بل كذلك بالآخر من حيث هو غريب(...)"[25]،فهي بذلك ضيافة مطلقة غير خاضعة لشرط ولا محصورة بحدود تقيدها، "والتي تجعل الضيافة نفسها تتفتح، أي أنها تكون منفتحة مسبقا لمن لا ننتظر ولا ندعو من الأشخاص، أي أنها تكون منفتحة مسبقا لأي زائر غريب تماما(...)"[26]، ولهذا نجد دريدا يؤكد بخصوصها بأن تكون ممتدة، فلا هي محدودة ولا مشروطة، أو ألا تكون أصلا إذا ما تقيدت بشرط، إلا أنه بالنظر إلى التسامح وأنواعه بحسبه فهو يرى أنه وجب أن يتحقق نوع من أنواعه عوض انعدام مطلق له.

ولهذا نجد دريدا يؤكد على الضيافة الخالصة غير المشروطة ضيافة مطلقة غير خاضعة لشرط ولا محصورة بحدود تقيدها، فعلاقة الآنا بالآخر الغريب عند دريدا لا تتعارض وما قدمه ليفيناس بشأنها كما أوردناه مسبقا، فهي علاقة غير مشروطة لا يقيدها مجال المصالح، بل هو لقاء مواجهة للوجه الآخر وملامحه، ف "هذا الموضوع من الأخلاق الوجه يبقى بداية وحسب وجه إنساني وأخوي، فقد ألححت في موضع آخر على رهانات قيمة الآخوة هذه، وهي قيمة مركزية وحاسمة، للتفسير الليفيناسي للوجه الذي هو أولا وقبل كل شيء أخي وجاري إذا كان بعيدا أو غريبا(...)"[27]. أخوة لا تعترف ولا تقر بالحدود بل منفتحة ممتدة تستدعي التضحية لأجلها ومد جسور العون للعلاقات الإنسانية.

**خاتمة:**

أخيرا نخلص إلى أنه:

من خلال مساءلة دريدا لتيمة التسامح التي أسس لها فلاسفة الأنوار كما مر معنا آنفا، نجده قد استعاض عنها بمفهومه للضيافة غير المشروطة، حيث يتفق مع الفيلسوف الفرنسي **بول ريكور Paul Ricœur (2005/1913)**، حول هذا الجانب بالذات المتعلق بـ: الصفح غير المشروط الذي يمكن تسميته "بالضرورة الحتمية للغفران" فهو"(...) مرتبط بمفهوم الهبة حتى حدود إشكالية الغفران. إن علم الاشتقاق وعلم الدلالة في العديد من اللغات يشجعان مثل هذا التقارب هبة– غفران سمح– سماح: don–pardon(بالفرنسية) (...) يتعلق الأمر بعد ذلك بإعادة الاختلاف في العلو الذي يميز الغفران عن الهبة(...)"[28]، فهنالك قطبية يشير إليها ريكور ضمن معادلة الغفران بين دونية الاعتراف بالذنب وعلوية الغفران والإشادة به، وإن كان ليس بالسهل خاصة ما ارتبط بالأمور التي لا يمكن أن تُغتفر، غير أنه ليس مستحيلا ولا متعذرا تحقيقه. وفي المقابل يؤكد الفيلسوف الألماني **يورغن هابرماس Jurgen Habermas**(1929) مفهومه للتسامح باعتباره مفهوما يُستطلب لمواجهة كل مظاهر العنف السائد في الوقت الراهن، ويشترط في ذلك أن يتجه عقل الإنسانية العام إلى تلك المعاني التي تبلورت في فكر التنوير الغربي المرتبطة أساسا بمعاني التسامح الديني على وجه الحصر لغرض تقوية تلك الوصائل الاجتماعية "(...) إن حياتنا اليومية مكونة من الممارسة التواصلية التي تتيح لنا أن يفهم بعضنا بعضا(...)"[29] ودعوته الصريحة إلى نبذ كل أشكال التعصب والتطرف، وإدانة كل أشكال العنف والإرهاب حتى لا يحدث هنالك تمزيق للُحمة الاجتماعية على اختلاف مشاربها لتحقيق السلام الاجتماعي وسعيه لتكريس المفهوم في أفقه التواصلي، التداولي ضمن فضائه العام، قوامه الحوار والتشارك كبديل مغاير عن السجالات الحادة التي تؤول حتما إلى مظاهر العنف في أسوأ معانيه.

كما يتضح موقف الفيلسوف الفرنسي **"إدغار موران Edgar Morin" (1921)** حول الصفح بمنظور مغاير عما تناوله دريدا، على اعتبار أن موران أعاب على دريدا قيامه بعزل الصفح عن سياقاته "(...) أما أنا فأحاول اعتماد منظور يُقحم مشكلة الصفح في سياقاته السيكلوجية والثقافية والتاريخية، وبالطبع، في سياق هذا القرن المطبوع بتنظيم مجازر جماعية."[30] فلا يجب اختزال كل مركب والأخذ بمكون واحد له بحسب موران وإنما ضرورة فهم ما ينضوي عليه مفهوم الصفح من رحمة وشفقة، فهو يحيل إلى فهم الكائن الإنساني بحيث لا يمكن النظر إليه من زاوية ما ارتكبه من جرم والانتقام منه.

## حواشـــي:

(1)- محمد الشيخ: مشروع التفكيك لدى جاك دريدا، في فكر الاختلاف، دراسات عربية، العدد 10/9، 27 تموز/آب 1991، ص44.

(2) Jacques Derrida : marges, ،Les Editions de minuit, Paris, 1972, PP7-8.

(3) ibidem p8

(4) جاك دريدا: فصول منتزَعة، تحرير: ناجي العونلي، ترجمة: عبد العزيز العيادي، ناجي العونلي، معز المديوني، منشورات الجمل، بيروت، بغداد، 2015، دط، ص8.

(5) جاك دريدا: الكتابة والاختلاف: ت: كاظم جهاد، تق: محمد علاء سيناصر، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص31

(6) جاك دريدا: في علم الكتابة، ت وتق: أنور مغيث، منى طلبة، المركز القومي للترجمة، ط2، 2008، ص90

(7)- محمد شوقي الزين وآخرون: جاك دريدا، ما الآن، ماذا عن غد؟ الحدث التفكيك، الخطاب، دار الفارابيب، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص292

(8) -emmanuuel lévinas, humanisme de l'autre homme, paris, le linre de proche, bihilio assais, 1994, p p 52, 53.

(9)- سامي الغابري: تفكيك الميتافيزيقا وبناء الإيتيقا في فلسفة جاك دريدا، دار الخليج والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2016، 264.

(10) -jaques derrida : l'ecriture et la difference, editions du seuil, paris6, collection « teliquel », 1967, p 123.

(11) -jaques derrida ; adieu a emmanuel lévinas, edition galilée,paris,1997,9988, 89.

(***) Tolérance المعنى اللاتيني له هو الثبات على التحمل، وهو الفطرة السليمة، وهو مبدأ أخلاقي وسياسي يقوم على المساواة، حرية المعتقدات وعلى الكرامة، ويتطلب عدم تقييد الرأي عندما يكون مغايرا لرأيه .(معلومات مستقاة من كتاب):

*La PHILOSOPHIE de A à Z, Auteur(s) : ELESABETH CLEMENT ET AUTRES, Editions : HATIER, FRENCE, 1998, p356*

(12) جاك دريدا/جياني فاتيمو: الدين في عالمنا، مصدر سابق، ص30

(13) *VOLTAIRE(TRAITE SUR LA TOLERANCE « DE LA TOLERANCE UNIVERSELLE »), Projet Développé par :Le Figaro, Paris, 2009, Editions: Garnier, Paris, 2009*

(14) فولتير: رسالة في التسامح، ت: هنريت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق–سوريا ط1، 2009، ص39.

(15) )الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت–لبنان، ط3، 1993، العهد الجديد متى 14–15 ص 53.

(16) *Jules KamabuVangi Si Vavi De la violence à la réconciliation Pour une éthique d'humanisation de la violence, focus 19, Globethics.net, p21*

(17) )جاك دريدا/جياني فاتيمو: الدين في عالمنا، مصدر سابق، ص30

(18) )نفس المصدر، نفس الصفحة.

(19) أفسس من الكتاب المقدس الآية 32:4.

(20) جاك دريدا/جيوفانا بورادوري: ما الذي حدث في "حدث" 11 سبتمبر؟، مصدر سابق، ص 137

(21) )جاك دريدا: الصفح مالا يقبل الصفح وما لا يتقادم، ت: مصطفى عارف، عبد الرحيم نورالدين، منشورات المتوسط، ميلانو إيطاليا- العراق، بغداد، ط1، 2018، ص ص (20،21،75)

(22)نفس المصدر، نفس الصفحة.

(23)لوغوس: مجلة تهتم بالدراسات الفلسفية، العدد الثالث والرابع سبتمبر2015، رئيس تحريرها: عبد القادر بودومة، دار كنوز للانتاج والنشر والتوزيع، تلمسان– الجزائر،التسامح والضيافة: إعادة صياغة تفكيكية في فلسفة جاك دريدا، ص 244

(24) آن ديفورمانتيل/ جاك دريدا:آن مانتيل تدعو جاك دريدا كي يستجيب للضيافة، ت، منذر عياشي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، العدد: 1276، 2009، ص51

([25]) جاك دريدا وآخرون: جمالية العيش المشترك، إعداد: فتحي التريكي، إصدار: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الفلسفة:19،2016،ص 33

([26]) جاك دريدا/جيوفانا بورادوري: ما الذي حدث في "حدث" 11 سبتمبر؟، ص140

([27]) -jacques derrida, l'animal que donc je suis, galilee, paris,2006 ; p148.

([28]) بول ريكور: الذاكرة، التاريخ، النسيان: ت، تق وتع: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص691.

([29]) جيوفانا بورادوري: الفلسفة في زمن الإرهاب: حوارات مع يورغن هابرماس وجاك دريدا، ت وتع: خلدون النبواني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2013، ص121.

([30]) جاك دريدا وآخرون: المصالحة والتسامح وسياسات الذاكرة: ت: حسن العمراني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص39